

دَوْرَةُ حَيَاتِنَا فِي الْوُجُودِ

مُنْطَلِقُ فَهْمٍ وَتَصَوُّورٍ وَاسْتِحْضَارٍ إِدَارَةِ شُؤُونِنَا كُلِّهَا

عزّام محمد زقزوق *

لَا نَعْلَمُ الْغَيْبَ! لَكِنَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﷻ عَلَّمَنَا فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْمَنَاجِ الْإِسْلَامِيِّينَ، أَنَّنَا نَحْنُ بَنِي آدَمَ، تَطَوَّرْنَا/نَتَطَوَّرُ فِي الْوُجُودِ السَّرْمَدِيِّ¹ ضِمْنَ دَوْرَةِ حَيَاةِ (Lifecycle) وَاحِدَةٍ قِوَامُهَا خَمْسَةٌ أَطْوَارٍ² عَامَّةٍ وَاضِحَةٍ، وَفِي جُلِّهَا غَيْبِيَّةٌ. قَالَ الْخَالِقُ ﷻ: كَاشِفًا لَنَا (أَفْرَادًا وَمَجَامِيعَ) عَنْ حَالِ وَشَكْلِ خَلْقِنَا: "وَقَدْ خَلَقْتُمْ أَطْوَارًا"³. وَقَدْ أَجْمَلَ دَوْرَةَ حَيَاةِ تَخْلُقْنَا وَمَالِنَا وَمَعَادِنَا بِقَوْلِهِ ﷻ: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ^{١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ^{١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^{١٤} ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ^{١٥} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ" الْمُؤْمِنُونَ: 12-16. وَمِنْ هَذِهِ الْأَطْوَارِ مَا هُوَ عَامُّ الْبَيَانِ، وَمِنْهَا مَا يَتَأَلَّفُ بِذَاتِهِ مِنْ أَطْوَارٍ بِنْيَائِيَّةٍ تَفْصِيلِيَّةٍ: كَالآتِي:

¹ السَّرْمَدِيَّةُ: اللَّابِدَايَةُ وَاللَّابِهَائِيَّةُ (Immortality). الْأَبَدِيَّةُ: اللَّابِهَائِيَّةُ (Eternity). الْأَزَلِيَّةُ: اللَّابِدَايَةُ (Eternity). الْأَمْدِيَّةُ: الصِّفَةُ الْمُؤَقَّتَةُ لِمَا بَيْنَ الْبِدَايَةِ وَالنَّهَائِيَّةِ (Temporality). وَهَذِهِ "الْمَبْنِي" اللَّغَوِيَّةُ هِيَ أَقْصَى مَا تُدْرِكُهُ عُقُولُنَا الْمَخْلُوقَةِ مِنْ "الْمَعْنَى" الدَّلَالِيَّةِ التَّصَوُّرِيَّةِ حَوْلَ حُدُودِ الزَّمَانِ - الْمَكَانِ (Spacetime).

² مِنْ النَّاجِيَةِ الْإِدَارِيَّةِ الْاِخْتِصَاصِيَّةِ تُعَدُّ "أَطْوَارًا" (Phases) وَلَيْسَتْ "مَرَاجِلَ" (Stages) بِوَصْفِهَا: أَوَّلًا: مُعْتَمِدَةٌ (Dependent) الْعَلَاقَةُ فِيهَا بَيْنَهَا وَثَانِيًا: فِي كَوْنِهَا قِوَامٌ دَوْرَةُ حَيَاةٍ مَعْلُومَةٍ الْبِدَايَةِ وَالنَّهَائِيَّةِ. رَاجِعُ/رَاجِعِي وَثِيقَةً "اسْتَفْهَامَاتٌ مَتَكَرِّرَةٌ".

³ وَفِي هَذَا تَعْمِيقٌ وَتَصْوِيبٌ لَخَطَأٍ فَهْمٍ وَتَصَوُّورٍ مِّنْ حَصَرَ وَقَصَرَ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى طَوْرِ "التَّجْمِيعِ وَالتَّخْلُقِ الْجَنَبِيِّ" ضِمْنَ دَوْرَةِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ وَتَطَوُّرِهِ فِي الْوُجُودِ: هَذَا الْخَطَأُ فِي فَهْمِ الْحَصَرِ وَالْقَصْرِ "قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعِزَّةٌ، وَقَتَادَةَ، وَيَحْيَى بْنُ رَافِعٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ: يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ" تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (المعروف بـ

"تفسير ابن كثير") - الشيخ الإمام/ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - تحقيق وتخرىج وتعليق: شعيب محرم الأزهري ومحمد أنس مصطفى الغن - الجزء الثامن - صفحة (261) - الطبعة الأولى: 1431هـ/2010م - دار الرسالة العالمية - دمشق.

1. **طَوْرُ الدُّرِّيَّةِ (عَالَمِ النَّارِ):** وهو طَوْرٌ عامٌّ بدأ منذُ خُلِقَ آدَمُ ⁴ ﷺ من طِينٍ، وَيَنْتَهِي بِبِدَايَةِ طَوْرِ

"التَّجْمِيعِ وَالتَّخْلُقِ الجَنِيِّ". قال اللهُ ﷻ: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ

هَذَا غَافِلِينَ" الأعراف:172 وقال ﷻ: "أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" يس:60. وقال رسوله للعالمين ﷺ: "يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ

لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًّا بِهِ؟ قَالَ (ﷺ): "فَيَقُولُ: نَعَمْ. قَالَ (ﷺ): فَيَقُولُ

(الله ﷻ): "قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ؛ قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا

فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ" ⁵. {عَالَمٌ غَيْبٌ}

"... إِنَّ التَّوْحِيدَ مِيثَاقٌ مَعْقُودٌ بَيْنَ فِطْرَةِ الْبَشَرِ وَخَالِقِ الْبَشَرِ مِنْذُ كَيْنُونَتِهِمْ الْأُولَى، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي نَقْضِ الْمِيثَاقِ -حَتَّى لَوْ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمُ بِالرُّسُلِ يُذَكِّرُونَهُمْ وَيُحَذِّرُونَهُمْ- وَلَكِنْ رَحْمَتُهُ وَحَدَاها إِقْتَضَتْ أَلَّا يَكْلَهُمْ إِلَى فِطْرَتِهِمْ هَذِهِ؛ فَقَدْ تَنَحَّرَفَ، وَأَلَّا يَكْلَهُمْ كَذَلِكَ إِلَى عُقُولِهِمْ الَّتِي أَعْطَاهَا لَهُمْ؛ فَقَدْ تَضَلَّ، وَأَنْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ!" ⁶.

وَمِمَّا تَبَقَّى لَنَا فِي طَوْرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنْ طَوْرِ الدُّرِّيَّةِ: الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ؛ الَّتِي انْحَرَفَ مُعْظَمُ النَّاسِ عَنْهَا: كِبْرًا، وَعِنَادًا وَتَقْلِيدًا... إلخ، وَالشَّيْءُ الْآخِرُ الْمُتَبَقِّيُّ هُوَ التَّعَازُفُ الْاِثْتِلَافِيُّ، وَالتَّنَاكُرُ الْاِخْتِلَافِيُّ.

⁴ "آدَمُ ﷺ هُوَ أَبُونَا وَخَلِيفَتُنَا نَحْنُ الْبَشَرُ الْحَالِيَيْنِ، وَخَلِيفَةُ (وَلَيْسَ أَبًا) مَنْ سَبَقْنَا مِنْ خَلْقِي سَابِقِينَ" د. عبدالله عبدالرحمن المسيد - أستاذ المناخ المشارك بقسم الجغرافيا بجامعة

القصيم، والمشرّف على جوال كون المتخصص بالطقس والفلك، ومؤسس، ورئيس لجنة تسمية الحالات المناخية المميزة في السعودية - مقال "مَنْ كَانَ يَسْكُنُ كَوْكَبَ الْأَرْضِ قَبْلَ آدَمَ ﷺ؟". بصنّف يسير.

⁵ الراوي: أنس بن مالك ﷺ - المَحَدِّثُ: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم (8123). خلاصة حكم المَحَدِّثُ: صحيح. وكذلك حكم عليه العلامة المَحَدِّثُ/ شعيب الأرنؤوط ورفيقه في تخريجهم لمسند أحمد بأن: إسناده صحيح على شرط الشيخين. مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق وتخرّيج وتعليق: شُعَيْبُ الأرنؤوط وعادل مُرْشِد - الجزء التاسع عشر - صفحة (302) - رقم الحديث (12289) - الطبعة الثانية: 1429هـ/2008م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

⁶ في ظلال القرآن (المعروف بـ "تفسير الطلال") - أ. سيّد قطب إبراهيم الشاذلي - صفحة (1391) - المجلد (3) - الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون: 1417هـ/1996م - تسعة مجلدات - دار الشروق - القاهرة - مصر.

2. **طَوْرُ التَّجْمِيعِ وَالتَّخْلُقِ الجَنِينِي:** وهو طَوْرٌ عامٌ يبدأ من النُّطْفَةِ وينتهي ببداية طَوْرٍ "الحياة

الدُّنْيَوِيَّة" (وهو عالمٌ غَيْبٍ أَرَانَهُ اللهُ ﷻ في أَنفُسِنَا⁷؛ فَأَصْبَحَ فِي جُلِّهِ عَالَمَ شَهَادَةٍ). وقوامُهُ الأطوارُ

البَيِّنِيَّةُ التَّفْصِيلِيَّةُ الآتية:

(1) **النُّطْفَةُ:** وهي النُّطْفَةُ الأَمْشَاجُ⁸ بين الحَيَوَانِ المَنْوِيِّ مِنَ الرَّجُلِ والبُؤْيُضَةِ عند المرأة. قال ﷻ:

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ"

المؤمنون:12-13. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: "نُطْفَةُ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ غَلِيظَةٌ، وَنُطْفَةُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيْقَةٌ،

فَأَيُّمَا غَلَبَتْ صَاحِبَتَهَا فَالشَّبَهُ لَهُ، وَإِنْ اجْتَمَعَتَا جَمِيعًا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ"⁹.

(2) **العَلَقَةُ:** يكونُ الجَينُ على شَكْلِ العَلَقَةِ¹⁰؛ وتكونُ عَالِقَةً في جِدَارِ الرَّحِمِ. قال ﷻ: "ثُمَّ خَلَقْنَا

أَلُطْفَةَ عَلَقَةٍ..."¹¹ المؤمنون:14، وقال ﷻ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ

عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ..."¹¹.

(3) **المُضْغَةُ:** تَظْهَرُ في هَذَا الطَّوْرِ الكُتْلُ البَدَنِيَّةُ على هَيْئَةِ أَثَرِ إِنْسَانٍ، وَذَلِكَ في أَوَاخِرِ الشَّهْرِ

الأوَّلِ؛ حينما تبدأ خلايا الظَّهْرِ بالنُّمُوِّ والزِّيَادَةِ. قال ﷻ: "... فَخَلَقْنَا أَلُغَةَ مُضْغَةً..."

المؤمنون:14، وقال ﷻ: "... ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ،

فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيَّ أُمِّ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ..."¹².

(4) **العِظَامُ:** حيثُ تبدأ الكُتْلُ البَدَنِيَّةُ تَنمُو مُكَوَّنَةً العِظَامِ. قال ﷻ: "... فَخَلَقْنَا أَلُغَةَ

عِظَمًا..."¹⁴ المؤمنون:14.

(5) **اللَّحْمُ:** وينتهي كِسَاءُ اللَّحْمِ في الأَسْبُوعِ الثَّامِنِ. وبهذا ينتهي طَوْرُ الجَينِ (Embryo)، ويبدأ

طَوْرُ الحَمِيلِ (Fetus). قال ﷻ: "... فَكَسَوْنَا أَلُغَةَ لَحْمًا..."¹⁴ المؤمنون:14.

⁷ صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ: "سُئِرِيهِمْ أَيَّتِنَا فِي الأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَكْتَبَنَّ لَهُمْ أَثَّهُ أَلْحَقُ..."⁵³؛ فهناك من الشَّهَادَاتِ العِلْمِيَّةِ مَا يُقَرَّرُ وَيُصْرَحُ بِأَسْبِقِيَّةِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِكَشْفِهَا وَبَيَانِهَا.

⁸ مُشِيحٌ: مَشِجٌ؛ كُلُّ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِطَيْنِ.

⁹ الراوي: عبد الله بن عباس ؓ - المَحَدِّثُ: الألباني - المَصدِرُ: صَحيحُ الجَامِعِ - الصَّفْحَةُ أَوِ الرِّقْمُ (6767). خِلاصَةُ حُكْمِ المَحَدِّثِ: صَحيح.

¹⁰ شَبِيهَةٌ بِالدُّوْنِدَةِ السُّوْدَاءِ؛ الَّتِي تَمْتَصُّ الدَّمَ، وَتَعِيشُ فِي المَاءِ.

¹¹ الراوي: عبد الله بن مسعود ؓ - المَحَدِّثُ: البَخَارِيُّ - المَصدِرُ: صَحيحُ البَخَارِيِّ - الصَّفْحَةُ: (3332). خِلاصَةُ الدَّرَجَةِ: صَحيح.

¹² الراوي: عبد الله بن مسعود ؓ - المَحَدِّثُ: البَخَارِيُّ - المَصدِرُ: صَحيحُ البَخَارِيِّ - الصَّفْحَةُ: (3332). خِلاصَةُ الدَّرَجَةِ: صَحيح.

6) **النَّشَأُ الأُخْرَى (التَّسْوِيَّة):** ويكونُ ذلك بعد تَكَوُّنِ اللَّحْمِ على العَظْمِ، وفي الشهرِ السَّادِسِ يصبحُ الإنسانُ قادراً على الاستِقلالِ عن أُمِّهِ إذا خَرَجَ؛ حيثُ تَتَكَوَّنُ في الشَّهْرِ السَّادِسِ الأَسْنَاخُ¹³ الرِّئَوِيَّةَ، وَيَسْتَطِيعُ الجَنِينُ التَّنَفُّسَ مُسْتَقِلاً عن أُمِّهِ، وبعد ذلك يكون دَوْرُ الرَّحِمِ الحَضَانَةِ (Incubation) وحسب. قال وَجَّالٌ: " ... ثُمَّ أَنْشَأْنَهُ حَلْقًا آخَرَ... " المؤمنون:14.

3. **طَوْرُ الحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّة:** وهو طَوْرٌ عامٌّ يبدأُ من الوِلادَةِ وينتهي بِبِدَايَةِ طَوْرِ "الحَيَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ" {عَالَمُ شَهَادَةٍ}¹⁴. وهو الطَّوْرُ الأَقْصَرُ أَمْدًا، والمركِزِيُّ من بَيْنِ الأطوارِ العامَّةِ جميعًا؛ لِتَعَلُّقِ الجَزَاءِ والعِقَابِ بِبَعْضِهِ. وقوامُهُ الأطوارُ البَيْنِيَّةُ التَّفْصِيلِيَّةُ الآتِيَةُ:

- 1) **الوَلِيدُ (بالنسبة للذَّكَر):** عند الولادة. **الوَلِيدَةُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 2) **الصَّرِيخُ:** قبل أن يتم أسبوعًا. ذَكَرًا كان أم أنثى.
 - 3) **الرَّضِيعُ (بالنسبة للذَّكَر):** أثناء الرِّضَاعَةِ. **الرَّضِيعَةُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 4) **الفَطِيمُ:** عند الفطام. ذَكَرًا كان أم أنثى.
 - 5) **الطِّفْلُ:** حتى سِنِّ السَّادِسَةِ. ذَكَرًا كان أم أنثى.
 - 6) **الوَلَدُ (بالنسبة للذَّكَر):** حتى سِنِّ الثَّامِنَةِ. **البِنْتُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 7) **الصَّبِيُّ (بالنسبة للذَّكَر):** حتى سِنِّ العَاشِرَةِ. **الصَّبِيَّةُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 8) **الغُلامُ (بالنسبة للذَّكَر):** حتى سِنِّ البُلُوغِ/الحُلْمِ. **الغُلامَةُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 9) **الفَتَى (بالنسبة للذَّكَر):** حتى يظهر شاربه. **الفَتَاةُ (بالنسبة للأنثى).**
- يوجدُ تقارُبٌ وتَشَابُهٌ دَلَالِيٌّ، وتَدَاخُلٌ في المعنى والاستِخدامِ نِسْبِيٌّ بين الولدِ، والصبيِّ، والغلامِ، والفتى؛ جامعُها حَدَاثَةُ السِّنِّ.
- 10) **الشَّابُّ (بالنسبة للذَّكَر):** من البُلُوغِ إلى الثَّلاثين تقريبًا، من أدرك سِنِّ البُلُوغِ ولم يصلِ إلى سِنِّ الرِّجُولَةِ. **الشَّابَّةُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 11) **الرَّجُلُ (بالنسبة للذَّكَر):** من الثَّلاثين حتى الأربعين تقريبًا. **المرأةُ (بالنسبة للأنثى).**
 - 12) **الكَهْلُ (بالنسبة للذَّكَر):** من الأربعين حتى الخمسين تقريبًا. **الكَهْلَةُ (بالنسبة للأنثى).**

¹³ الأَسْنَاخُ: جمع سِنخٍ: الأَصْلُ من كلِّ شيءٍ.

¹⁴ شَهَادَتَيْنِ: من الناسِ عَلَيْنَا، وَمِنَّا على أَنفُسِنَا.

(13) الشَّيْخُ (بالنسبة للذَّكَر): حتى السِّتِّين تقريبًا. الشَّيْخَةُ (بالنسبة للأنثى).

(14) الهَرَمُ (بالنسبة للذَّكَر): ما فوق السِّتِّين تقريبًا. الهَرَمَةُ (بالنسبة للأنثى). يهرمُ المرء؛ حين يتوقف عن التَّطَوُّر والتَّقَدُّم.

قال ﷺ: "... أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ..." فاطر:37، وقال رسول الله للعالمين ﷺ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ"¹⁵.

4. طَوْرُ الْحَيَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ: وهو طَوْرٌ عامٌّ يبدأ من لحظة الوفاة وينتهي بِطَوْرِ "الجَنَّةِ أَوْ النَّارِ" الْأَبَدِيَّتَيْنِ. قال ﷺ: "وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ"¹⁶ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" العنكبوت:64، {عَالَمٌ غَيْبٍ}. وقوامه الأطوارُ البينِيَّةُ التَّفصِيلِيَّةُ الْآتِيَةُ:

(1) الْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ: وهو طَوْرٌ مَشَاهِدٌ (مثل: الضَّجَعَةُ، وَضَمَّةُ الْقَبْرِ، وَسُؤَالُ الْمَلَائِكِينَ، وَعَرْضُ الْعَمَلِ... إلخ) يبدأ من لحظة الموت. قال ﷺ: "ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ" المؤمنون:15. وينتهي وقت نَفْخَةِ الصُّورِ الثَّانِيَةِ (الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ). وأدلة طَوْرِ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ الْبَيْنِيَّةِ مِنَ النُّقْلِ الثَّابِتِ (صَحِيحٌ أَوْ حَسَنٌ) مُسْتَفِيضَةٌ حَدَّ التَّوَاتُرِ.

(2) الْيَوْمُ الْآخِرُ: وهو طَوْرٌ بَيْنِيٌّ يبدأ من نَفْخَةِ الصُّورِ الثَّانِيَةِ. قال ﷺ: "ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ" المؤمنون:16. وَيُنْتَهِي بِطَوْرِ "الجَنَّةِ أَوْ النَّارِ" الْأَبَدِيَّتَيْنِ. وقوامه الأطوارُ الْبَيْنِيَّةُ التَّفصِيلِيَّةُ الْآتِيَةُ:

(1) النَّفْخُ فِي الصُّورِ: ينفُخُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصُّورِ نَفْخَتَيْنِ. قال ﷺ: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" الزُّمَرُ:68 ويتضمَّن:

■ نَفْخَةُ الْفَرْعِ وَالصَّعِقُ: وهي التي يكون بها إِمَاتَةُ الْأَحْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

¹⁵ الراوي: عبدالله بن عباس ؓ - المَحَدِّثُ: الْأَبْيَانِي - الْمَصْدَرُ: صَحِيحُ الْجَامِعِ - الصَّفْحَةُ أَوْ الرَّقْمُ (3355). خلاصة حكم المَحَدِّثِ: صَحِيحٌ.

¹⁶ مصدر حَيِيَ. حياة، جسم نام حساس متحرك بالإرادة.

■ نَفْخَةُ البَعثِ والنُّشورِ من الأَجْداثِ¹⁷: وهي التي يقوم بها الأمواتُ جميعاً أحياءً من جديد.

- (2) البَعثُ والنُّشورُ: وهو بعث جميع الموتى من قبورهم أحياءً.
 - (3) الحَشْرُ: جَمْعُ الخلائِقِ جميعاً في موقفٍ واحدٍ؛ لحسابهم والفصل بينهم.
 - (4) نَشْرُ الصُّحُفِ: إعطاء كل عبد كتابه؛ المشتمل على سِجِلِّ أعماله التي عملها في الحياة الدنيا.
 - (5) العَرْضُ والحِسابُ: بدءُ عَرْضِ الأعمالِ والحِسابِ، وما يَتَبَعُ ذلك من وَزْنِ أعمالهم، والمرور على الصراط...
 - (6) المِيزانُ: نَصَبُ المِيزانِ لوزن أعمال العباد؛ لأنَّ الوَزنَ للجزاء، فيكون بعد الحساب على الأعمال؛ فإنَّ حساب العباد هو لتقدير أجور أعمالهم، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها.
 - (7) الحَوْضُ: لِقَاءُ المؤمنِينَ بِنَبِيِّهِمْ ﷺ عند حَوْضِ الكَوْتَرِ.
 - (8) الشِّفَاعَةُ: يُرْغَبُ فيها إلى سَادَةِ الأتقياء، فيعتدِرُ عنها الرُّسُلُ والأنبياء. ثم يَتَقَدَّمُ لها رسولُ ربِّ العالمين محمداً ﷺ؛ وهو المقامُ المحمود الذي وَعَدَهُ اللهُ ﷻ به.
 - (9) اتِّبَاعُ الأَلِيبَةِ: تُؤمَّرُ كُلُّ أُمَّةٍ أن تَتَّبِعَ الإلهَ الذي كانت تَعْبُدُهُ في الدُّنيا. وتَظْهَرُ أنواعُ الأَلِيبَةِ التي كانت تُعْبَدُ في الدنيا، فَيَتَّبِعُها عابِدوها.
 - (10) الصِّراطُ: المُرورُ على الصِّراطِ، وهو عسيرُ المرورِ، مُفْرَعُ المنظرِ، يُثَبِّتُ اللهُ ﷻ عليه أقدامَ المؤمنِينَ كما ثَبَّتَ قلوبَهُم في الدنيا على الدِّينِ.
 - (11) قِصاصُ المؤمنِينَ: بعد عبور المؤمنين الصراط، ونجاتهم من النار، يبقى فيما بينهم حقوق ومظالم كانت في الدنيا، ورُبُّنا ﷻ يُصَفِّي نفوسهم قبل أن يدخلوا الجنة.
5. طَوْرُ الجَنَّةِ أو النَّارِ: وهو طَوْرٌ عامٌّ يبدأ من بعد طَوْرِ "قِصاصِ المؤمنِينَ" البَيِّنِيّ التفصيليِّ. ويدومُ أبدياً؛ إلى ما لا نهاية. وبهذا الطَّور تكون نهايةُ دَوْرَةِ حَيَاةِ الإنسانِ في الوُجودِ السَّرْمَدِيِّ.

¹⁷ إنَّ اختيَارنا لِمُلفِظِ "الأجْداثِ" بوصفه جامع مانع... ولارتباط مَبْنَى الجَدَثَةِ (مَضْعُ اللَّحْمِ، ووُفَعُ الأَفْدامِ) مع معنى ودلالة خروجهم مُسرِعِينَ من بعد أن مَضَعَهُمُ الأَرْضُ وأكَلَهُمُ. فهناك قَبْرٌ ولُحْدٌ وجَدَثٌ، والاختلاف بينها يتعلَّقُ بسياقِ الحَرَكَةِ والسَّكونِ... والله أعلم.



على أساس هذا البيان الإلهي الإسلامي تُبْنَى نَظَرِيَّتُنَا المَعْرِفِيَّةُ الإدْرَاكِيَّةُ لدَوْرَةِ حَيَاتِنَا فِي الوجودِ و"عِلْمُ الوجود" ¹⁸ (Ontology) ... وَيُعْلَمُ قَطْعًا وَيَقِينًا أَنَّ دَوْرَةَ الحَيَاةِ هَذِهِ تَرْتَكِزُ عَلَى مَفْهُومٍ وَتَصَوُّرٍ وَاسْتِحْضَارٍ حَقِيقَةٍ وَجُودِنَا وَمَوْضِعِنَا فِيهِ؛ حَيْثُ اتِّصَالُ أَطْوَارِهَا، وَتَوَاصُلُ اعْتِمَادِيَّةِ ذَاتِ الأَطْوَارِ فِيهَا، وَامْتِنَاعُ تَجْزِيئِهَا وَتَبْعِيضِهَا ضِمْنَ حَرَكَتِهِ وَحَرَكَاهُ. وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ وَالحِكْمَةَ البَالِغَةَ يَقْتَضِيَانِ المُوَافَاةَ مَعَ هَذَا الحَرَكَاتِ؛ بِمَا يُحَقِّقُ النِّفْعَ، وَيَضْمَنُ الكَرَامَةَ وَالعِزَّةَ، وَيُدِيمُ الخَيْرِيَّةَ... فَمِنَ النَّاحِيَةِ الإِرَادِيَّةِ (Willpower) العَامَّةِ؛ لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ مُسْلِمٍ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ ﷻ وَاليَوْمِ الآخِرِ الأَثَرُ الإِرَادِي العَظِيمُ وَالمُسْتَدِيمُ لِهَذَا المُنْتَلَقِ فِي الفَهْمِ وَالتَّصَوُّرِ وَالاسْتِحْضَارِ فِي/عَلَى صِلَاحِ إِدَارَتِنَا لِشُؤُونِ حَيَاتِنَا كُلِّهَا. وَهُوَ أَثَرٌ لِسَبَبِ أَسَاسٍ فِي حَيَاتِنَا، وَلَيْسَ خِيَارًا لَنَا... وَإِنَّمَا خِيَارُنَا فِيهِ التَّزْكِيَّةُ أَوْ التَّدْسِيَّةُ، الشُّكْرُ أَوْ الكُفْرُ... وَحَسْبُ. وَبِحُرِّيَّةِ اخْتِيَارِنَا هَذِهِ؛ إِرَادِيًّا... نَسْتَشْعُرُ مَسْئُولِيَّتِنَا؛ أَخْلَاقِيًّا... وَإِدَارِيًّا... فِي عَمَلِيَّةِ التَّغْيِيرِ وَالإِصْلَاحِ وَالتَّهْضَةِ. فَمِمَّا يُعْتَبَرُ مِنْ بَدَهِيَّاتِ العَقْلِ؛ أَنَّ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ... وَأَنَّ مَنْ يَسْبَحُ فِي مَاءٍ لَا يَعْرِفُ أبعادَ وَحُدُودَ حَوْضِهِ كَان مَالُهُ، لَا مَحَالَةَ، العَرَقُ وَالمَهْلَاكُ. وَفِي المِقَابِلِ؛ مِنَ النَّاحِيَةِ الإِدَارِيَّةِ (Management) العَامَّةِ؛ لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ سَوِيٍّ، وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمْ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ، وَمَا سَيَكُونُ، مِنْ أَثَرِ صُنْعِ الإِنْسَانِ (وَهُوَ يَتِمَّتُّ فِي شَكْلِ: مُنْتَجٍ، أَوْ خِدْمَةٍ، أَوْ نَتِيجَةٍ) أَوْ نِتَاجِ بَرَاعَتِهِ وَإِبْدَاعِهِ (Artifact) فِي الوجودِ السَّرْمَدِيِّ قَدْ تَطَوَّرَ/يَتَطَوَّرُ ضِمْنَ دَوْرَةِ حَيَاةٍ وَاحِدَةٍ قِيَامُهَا حَمْسَةُ أَطْوَارٍ عَامَّةٍ وَاضِحَةٍ؛ هِيَ: طَوْرُ البَلُورَةِ (Conception)، ثُمَّ طَوْرُ التَّصْمِيمِ (Design)، ثُمَّ طَوْرُ الإِنشَاءِ (Construction)، ثُمَّ طَوْرُ الخِدْمَةِ (Service)، ثُمَّ طَوْرُ الإِفْنَاءِ (Retirement). عَلَى اخْتِلَافٍ فِي الأَسْمَاءِ، وَتَغْيِيرِ طَفِيفٍ فِي المُسَمِّيَّاتِ؛ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ وَتَغْيِيرِ المَجَالَاتِ التَّطْبِيقِيَّةِ.

فَفِي آخِرِ سِنِي حَيَاتِهِ نَقَدَ عَالِمُ النَّفْسِ أ. د. إِبْرَاهِيمَ مَاسْلُو (Abraham Maslow) نَفْسَهُ، وَتَدَارَكَ قُصُورَ نَظَرِيَّتِهِ الشَّهِيرَةِ بِاسْمِ عَائِلَتِهِ، وَالمُوضَّحَةَ لِلحَاجَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ: "هَرَمِيَّةُ الحَاجَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ" أَوْ "نَظَرِيَّةُ التَّحْفِيزِ الإِنْسَانِي" (A Theory of Human Motivation)؛ نَقَدَ وَتَدَارَكَ عَلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ

¹⁸ عِلْمُ الوجود: "فِرْعٌ مِنَ المِيتافيزيقَا (Metaphysics) يُعْنَى بِدِرَاسَةِ طَبِيعَةِ الوجودِ". وَالمِيتافيزيقَا (أو: مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ، أَوْ: مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ): "شُعْبَةٌ مِنَ الفَلَسَفَةِ (Philosophy) تَنْحُثُ فِي مَاهِيَّةِ الأَشْيَاءِ وَعِلَّةِ العِلَلِ؛ أَيِ القُوَّةِ المَحْرَكَةِ لِهَذَا العَالَمِ. وَكَلِمَةٌ أُخْرَى: شُعْبَةٌ مِنَ الفَلَسَفَةِ تَشْمَلُ عِلْمَ الوجودِ، وَعِلْمَ أَصْلِ الكَوْنِ وَتَكْوِينِهِ (وَتَوْسُّعًا: الفَلَسَفَةُ فِي فِرْعِهَا الأَكْثَرِ صَعُوبَةٌ وَتَعْقِيدًا)". وَالفَلَسَفَةُ: "هِيَ البَحْثُ عَنِ الحَقِيقَةِ مِنْ طَرِيقِ التَّفَكُّيرِ المُنْتَظَمِ لَا المِلاخِظَةَ الوَاقِعِيَّةِ". المُرَدُّ الأَكْثَرُ (فَامُوسُ إِنْجِلِيزِي - عَرَبِي حَدِيث) - تَالِيفُ مُنِيرِ البَعْلَبِكِيِّ - أَتَقَهُ وَرَاجَعَهُ: د. رَمْزِي مُنِيرِ البَعْلَبِكِيِّ - الطَّبِعَةُ الأُولَى: 1426هـ/2005م - المِصْفُوحَاتُ عَلَى النِّوَالِ: (1259)، (1129)، (1368) - عِدَدُ المِجلدَاتِ: 1 - دَارُ العِلْمِ لِلْمِلَالِيينَ - بَيرُوتَ - لُبْنَانِ. وَالحَقِيقَةُ (Truth) هِيَ الضَّالَّةُ الكَبِيرَى لِلْفَلَسَفَةِ وَنُشْدَانُهَا!... وَهِيَ أَيْضًا ضَالَّةٌ مِّنْ أَمَنِ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ!...

وَجَعَلَهُ الْمَسْتَوَى الْأَعْلَى فِي الْهَرَمِ؛ وهو مستوى "سُمُو وَتَفَوُّقُ الذَّاتِ" (Self-Transcendence)، مُتَجَاوِزًا مَا سَمَّاهُ مِنْ قَبْلُ مَسْتَوَى "تَحْقِيقِ الذَّاتِ" (Self-Actualization)¹⁹. وفحوى مستوى "سُمُو وَتَفَوُّقِ الذَّاتِ" هذا وجوهره أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَنْضُجُ وَتَرْتَقِي وَتَتَسَامَى فِي تَحْقِيقِ ذَاتِهَا بَارْتِبَاطِهَا وَارْتِهَانِهَا بِغَايَةِ تَتَجَاوُزُ إِطَارَهَا الْخِبْرَاتِيَّ (الْخِبْرَةُ = الْمَعْرِفَةُ + التَّجْرِبَةُ)؛ فيما اعتَبَرَهُ هو "الإيثار" (Altruism) و"التَّعَلُّقُ بِالْقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ"²⁰ (Spirituality)²¹. هذا المستوى الرُّوحِي الْغَيْبِي؛ الَّذِي خَلَصَ إِلَيْهِ أ. د. ماسلو²² وَعَدَّهُ حَاجَةً إِنْسَانِيَّةً وَجَدْنَاهُ، وَمَا زَلْنَا نَجِدُهُ حَقِيقَةً مُثَبَّتَةً وَمُيَبَّنَةً فِي نُصُوصِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ؛ ضِمْنَ دَوْرَةِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فِي الْوُجُودِ. وَقَدْ ذَهَبْنَا بِهِ وَذَهَبَ بِنَا إِلَى أَعْدَمٍ مِنْ كَوْنِهِ مُجَرَّدِ مُسْتَوَى وَدَرَجَةٍ؛ إِلَى كَوْنِهِ جَوْهَرًا مُتَغَلِّغًا، وَمَظْهَرًا بَارِزًا فِي كَافَّةِ مَنَاحِي حَيَاتِنَا عَمُودِيًّا... وَأَفْقِيًّا... لَا بَلْ وَامْتَدَّحَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ لَدُنِ الْخَالِقِ؛ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﷻ فِي بَيَانِهِ الْكَرِيمِ: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" البقرة: 3-5. وَلِأَنَّ الْغَيْبَ مَجْهُولُ الْمَاهِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ، فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ مَجْهُولُ الْكَيْفِيَّةِ؛ إِلَّا مَا كَشَفَهُ الْخَالِقُ ﷻ لِعَقْلِنَا الْإِنْسَانِيَّ الْمَحْدُودِ السَّعَةِ وَالْإِدْرَاكِ؛ وَفِيهِ صِلَاحٌ شَوْوْنِنَا كُلِّهَا فِي الْوُجُودِ السَّرْمَدِيِّ.

ومعلومٌ أيضًا أَنَّ الْعِلْمَ السَّلُوكِيَّةَ (Behavioral Sciences)، وَمِنْهَا عِلْمُ النَّفْسِ، تَضُمُّ الْأَسْئَلَةَ الْفِكْرِيَّةَ وَالْأَصُولَ وَالْمَنْطَلِقَاتِ الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهَا كَافَةُ الْعِلْمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ (Social Sciences)؛ وَالَّتِي عَنْهَا يَنْبَثِقُ عِلْمٌ وَمِهْنَةٌ وَفَنٌّ إِدَارَةُ الْمَشْرُوعَاتِ (Project Management)؛ بِوَصْفِهَا التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ لِلْمَعَارِفِ، وَالْمَهَارَاتِ، وَالْوَسَائِلِ وَالْأَسَالِيبِ عَلَى أَنْشِطَةِ حَيَاتِنَا الْمَشْرُوعَاتِيَّةِ (Projectized) كُلِّهَا؛ لِجِهَةِ

¹⁹ A. H. Maslow, "Critique of self-actualization theory", in: E. Hoffman (Ed.), *Future visions: The unpublished papers of Abraham Maslow* (Thousand Oaks, CA: Sage, 1996), pp. 26–32.

²⁰ وهذا ما يُعْرَفُ وَيُعْرَفُ بِأَصُولِ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ الْغَيْبِيَّةِ؛ مِثْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ﷻ، وَالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... إلخ.

²¹ Cfr. A.H. Maslow, "The farther reaches of human nature", in: *Journal of Transpersonal Psychology* 1(1969)1, pp. 1-9; A. Maslow, *The farther reaches of human nature* (New York: The Viking Press, 1971); Mark E. Koltko-Rivera, "Rediscovering the Later Version of Maslow's Hierarchy of Needs: Self-Transcendence and Opportunities for Theory, Research, and Unification", in: *Review of General Psychology* 10(2006)4, pp. 302-317.

الَّذِي دَهَبَ وَانْتَهَى إِلَيْهِ أ. د. ماسلو "نَفْسِيًّا" فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ الْمِيْلَادِيِّ، قَدْ ذَهَبَ وَانْتَهَى إِلَيْهِ عِدَّةٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ "فَلَسَفِيًّا" مِنْ قَبْلِ، وَفِي طَلِيعَتِهِمْ عِمَّانَوَيْلُ كَنْتُ (Immanuel Kant) وَقَوَامُهُ أَنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِيقَةِ لَا تُسْتَمَدُّ مِنَ الْخِبْرَةِ أَوْ التَّجْرِبَةِ؛ بَلْ مِنْ مَصَادِرَ حَدْسِيَّةٍ أَوْ رُوحِيَّةٍ تَتَجَاوُزُ حُدُودَ التَّجْرِبَةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَتَتَسَامَى/تَعْلُو عَلَيْهَا. وَيُقَصَّدُ بِمَذْهَبِ "التَّعَالِي" أَوْ "التَّجَاوُزِيَّةِ" أَيضًا ذَلِكَ الْمَذْهَبُ الَّذِي وَضَعَهُ رَأْفُ إِمْرِسُونِ (Ralph W. Emerson) وَطَائِفَةٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْأَمْرِيكِيِّينَ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ؛ وَالَّذِي فَحَوَاهُ أَنَّ لِلْإِنْسَانَ أَفْكَارًا لَا تُنْبَعُ مِنَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ أَوْ مِنَ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ بَلْ تَنْشَأُ مِنَ الْإِهَامِ الْإِلَهِيِّ مُبَاشَرًا، وَبِأَنَّ لِلْإِنْسَانَ إِلَى جَانِبِ جَسَدِهِ الْمَادِيِّ جَسَدًا رُوحِيًّا ذَا حَوَاسِّ تُدْرِكُ مَا هُوَ حَقٌّ وَخَيْرٌ وَجَمِيلٌ.

²² وَمِمَّا يُؤَسِّفُ! التَّقْلِيدُ الْأَعْيَى، أَوْ عَدَمُ أَمَانَةِ النَّقْلِ الْعَلِيِّ عَنْ صَاحِبِ النُّظَرِيَّةِ فِي التَّعَاطِي مَعَ نَطْرَتَيْهِ عِنْدَ جُلِّ مَنْ اسْتَفَادُوا مِنْهَا؛ حَيْثُ تَجَدَّهُمْ جَهْلًا أَوْ تَقْلِيدًا! يَقِفُونَ عِنْدَ مَسْتَوَى "تَحْقِيقِ الذَّاتِ" دُونَ مَسْتَوَى "سُمُو وَتَفَوُّقِ الذَّاتِ" مِنْهَا.

تحقيق الأهداف الموضوعية، وإنتاجية عالية؛ على المستويين الفردي منها والمنظمي (Organizational).

ومعلوم أيضاً أن الاستراتيجيات تقود الإدارة، وتوجهها على المدى البعيد. من منطلقات بينة، تجاه غايات (Goals)، ينبثق عنها أهداف (Objectives) مُحددة ومقيسة ومُتاحة وواقعية ومُؤقتة (SMART)، تتمحور حول رسالة ومهمة (Mission)؛ وبمجموعها مُقادة برؤية (Vision) واضحة.

وكحقيقة بديهية؛ لا يُعقل أن يُبين الإنسان لأخيه الإنسان المنطلق (Base) الذي يجب أن ينطلق منه إن لم يستبينه هو لنفسه! ففاقد الشيء لا يُعطيه! هذا فضلاً عن تحديده الغاية (Purpose) المُقادة بالرؤى؛ لنفسه هو قبل غيره! وهذا نفهم قول الله ﷻ: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" الدّاريات:21.

وعليه؛ لا يُمكننا فهم وتصوّر إمكانية وضع الاستراتيجيات وخطتها؛ والتي بدورها تقود الإدارة، من قبل أناسٍ فاقدين أو حتى قاصرين عن معرفة وتحديد منطلقاتهم (Basis) أنفسهم في الوجود؛ بادئ الأمر؛ فالخالق ﷻ قد وجهنا بالعقل والمشاهدة: "قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" يونس:35. وإن نجح هؤلاء؛ فلأمدٍ قصيرة! ولحدودٍ قريبة! وحسب.

من هنا... وبالاعتماد، على الله ﷻ وشريعته في الوجود كانت نظيرتنا "الدمج الثلاثي" (Trifusion)²³؛ والمتمثلة بالنقل الثابت (Authentic Quotation) (الوحي): كتاب الله ﷻ وسنة رسوله للعالمين ﷺ) والفطرة السليمة (Intact Innateness) (قال ﷻ: "...فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ..." الروم:30) والعقل الصريح (Sound Reason) (حقائق، أو حجج، أو براهين، أو نتائج، أو وقائع، أو الممارسات الإدارية الجيدة" { Good Practices²⁴... إلخ). بالاعتماد على ذلك، مُندمجاً، نستطيع أن ننظر ونُسيّر إدارياً، وُضعنا الراهن

²³ النظرية (Theory). والمصطلح (Term) من وضعنا نحن... وهما يُمتلآن صلب وجوهر ما نحن بصدده علمياً؛ بالبحث والدراسة والتصوّر، وعملياً؛ بالاستحضار والتطبيق الميداني؛ إن شاء الله.

²⁴ يشيع في عالم إدارة المشروعات تعبيران اصطلاحيان: "الممارسات الإدارية الجيدة" (Good Practices) و"الممارسات الإدارية الجيدة" (Best Practices). والفرق بينهما ظاهرٌ في كون الأولى: جيدة ونافعة في عموم المجالات التطبيقية (Application Areas) المختلفة والمتنوعة (وأصحُّ مثال على ذلك؛ "الدليل المعرفي لإدارة المشروعات" (PMBOK Guide)، أما الثانية: فهي الجود والأنفع في مجالٍ تطبيقيٍّ ما؛ بعينه (وأبرزُ مثال على ذلك؛ "التطوير المشترك للبرامج التطبيقية" (Joint Application Development - JAD) في مجال البرمجيات التطبيقية).

كأفرادٍ ومُنظَّماتٍ²⁵، ونُديمٍ إنتاجيِّنا... ومن ثم نَضَعُ الخُطَطَ الاستراتيجية؛ لجهة تحقيق رؤانا (Visions)، القائدة لغاياتنا (Goals)، والمستجمعة لأهدافنا²⁶ (Objectives) المحددة والمقيسة والمتاحة والواقعية والمؤقتة (SMART).

***مستشار ومُدَرِّب وباحث إدارة مشروعات**

²⁵ استخدمنا لكلمة "المنظمة" (Organization) هو للدلالة على أي عمل جماعي مُنظَّم. وهو تعبيرٌ جامعٌ لكافة أشكال العمل التنظيمي؛ المتمثل في الشركات، والمؤسسات، والحركات، والتنظيمات، والنوادي، والأحزاب، والمعاهد، والمراكز، والشراكات... الخ. لفظة "منظمة" مبنية لغويًّا يُعَبَّرُ عن معنى إداريٍّ للعمل الجماعي المنظم. وهذا، بالمناسبة، ما اعتمده "معهد إدارة المشروعات" (Project Management Institute - PMI) في معايير القياسية. ومما هو معلوم أيضًا أن استخدام التعابير الجامعة مَبْحَثٌ ثابتٌ ومَقَرَّرٌ في عِلْميِّ: أصول الفقه، وقواعد الفقه الإسلاميين.

²⁶ عقليًّا؛ من الناحية العلمية النظرية وَضَعُ الأهداف أهمُّ ويسبقُ إنجاز الأعمال... ومن الناحية العملية التطبيقية إنجاز الأعمال يسبقُ وَضَعُ الأهداف. وكذلك شرعيًّا؛ النَّيَّةُ (المقاصد والأهداف) أهمُّ وتسبقُ إنجاز الأعمال. وفطريًّا؛ "إذا صحَّ العزمُ وَضُحَّ الطريق".